20040414-0017-L

النهار
استطلاع هذا النهار
هل سيتأثر لبنان بأحداث الفلوجة ؟
نعم أم لا ؟
هذا الاستطلاع تقوم به "النهار" لمدة اسبوع ينتهي يوم الثلثاء 20 نيسان 2004
للاشتراك ومعرفة النتائج اتصل بالرقم
1 4 3 3

مقاتلان "سابقان" يستعيدان حرب الماضي بوعي الحاضر [1 من 2]

جوسلين خويري: قضيتنا كانت تستحق الدفاع عنها ولولا تضحيات شبابنا لما اعترف الطائف بنهائية لبنان

في 23 نيسان 1975، أي منذ 29 عاماً تماماً، اندلعت الحرب في لبنان فاشتعلت جبهات القتال واصطف اللبنانيون بحسب مشاربهم الفكرية. وانتماءاتهم السياسية. وسرعان ما ارتسمت معالم خطوط التماس بينهم، فتواجهوا مصوبين بنادقهم الى بعضهم بعضاً. قاتلوا باندفاع الشباب وحماسته وتطرفه، وتحاربوا وفق معطيات الامس وظروفه. فاكتوى الجميع بنار الحرب وواجهوا اخطارها تستنهضهم شعارات متناقضة وتستلهمهم اسقاطات ثورات اخرى. طالت الحرب، وتاهت رصاصاتها عن مواقع النضال، فتحولت "القضية" وتشعبت. وبعد اعوام من العنف بخست معها الحياة، هدأت الجبهات العسكرية فاستراح المحاربون على تعب وانكسار... اوربما على اختبار من نوع آخر. فكيف يقومون تجربتهم الماضية بوعي الحاضر: لماذا قاتلوا، ماذا حققوا؟ وماذا تعلموا؟ في هذا الصدد نستعرض شهادتين لمقاتلين: جوسلين خويري (حزب الكتائب) واحمد جابر (منظمة العمل الشيوعي)، حيث شارك كل من موقعه في الحرب واستخلص عبرها.

تحقيق رلى مخايل

"بوسطة" الحرب.

من اجتماعات "الجبهة اللبنانية".

في صيف 1976، تصدرت الصفحات الاولى لوسائل الاعلام صورة شابة في العشرين من عمرها ترتدي الزيّ العسكري وتتخذ وضعية قتالية على خطوط التماس المتقدمة مدافعة عن موقعها العسكري بجرأة واقدام. كانت تلك صورة جوسلين خويري، المقاتلة الكتائبية التي خاضت القتال جنبا الى جنب مع رفاقها الكتائبيين لتؤسس بعدها فرقة من المقاتلات الشابات عرفت بـ"فرقة النظاميات" وخاضت معها نضالا عسكريا وسياسيا ثم تبدلت الظروف فوضعت ورفيقاتها سلاحهن جانبا، في منتصف الثمانينات، لينقلن التزامهن ونضالهن السياسي والعسكري الى العمل الاجتماعي والانساني. بعد 29 عاما على ذكرى اندلاع الحرب اللبنانية، تبدو جوسلين خويري هادئة، مؤمنة ومتصالحة مع ذاتها. تستعيد تجربتها مستحضرة جنون شابة الامس وعمق امرأة اليوم ونضجها. وتقول: "اختباري مسار لم ينته بعد، بل تغير شكله فانتقلت من وراء متراس قوامه اكياس رمل الى متراس من نوع اخر". لماذا قاتلت جوسلين خويري ومن اجل اي قضية؟ ومتى كانت بداية احتكاكها مع العمل السياسي والعسكري؟

حتى يبقى العلم اللبناني

أحبت خويري علم بلادها "مرتفعا كما الكرامة والحرية"، وأسهم في تعلقها برمز بلادها ترعرعها في بيت مواجه مباشرة لبيت الكتائب المركزي في منطقة الصيفي – جادة شارل الحلو قرب ساحة الشهداء، حيث ألفت منذ صغرها مشهدا يوميا كانت تنتظره كل صباح ومساء: "في الجهة المقابلة لشرفة منزلنا كان الكتائبيون يرفعون العلم اللبناني وينزلونه مساء في جو من الاحترام والرهبة والتأهب". وأيقظتها صحوة العنفوان من غفوة اللامبالاة واللاانتماء "ففي اوائل السبعينات، كانت موجة الـ"هيبي" بدأت بالانتشار وكنت شخصيا متأرجحة بين أجواء اللامبالاة التي كانت شائعة بين رفيقاتي وبين جو الانضباط والجدية الذي كان يمليه علي التزامي السياسي والتدريبات العسكرية التي كنت قد بدأتها". هكذا أختارت الخويري الانتماء الى ساحات الصعوبة فأنخرطت في العمل السياسي والعسكري وهي لا تزال في السادسة عشرة من عمرها. "بدأت نشاطي السياسي وانا على مقاعد الدراسة في الصف الثالث التكميلي عندما التحقت بمصلحة طلاب الكتائب مع بعض رفيقات صفي". وساعدها على اتخاذ هذا القرار المحيط العائلي الذي ترعرعت فيه من جهة وموقع بيتها المواجه لبيت الكتائب المركزي من جهة اخرى.

شكلت مصلحة طلاب الكتائب مدرستها السياسية الاولى، اذ انتمت اليها في عصرها الذهبي عندما كانت تضج حركة وفكرا وتطلعات، فتعرفت عبرها على التيارات الفكرية السائدة وحددت موقعها منها. واكثر ما ساعدها في تكوين وعيها السياسي، المقارنات الايديولوجية بين العقائد المطروحة على الساحة اللبنانية. "وكانت عقيدة حزب الكتائب تشدد على نهائية الكيان اللبناني وصيغة العيش المشترك كقيمة ورسالة فريدة للبنان في المنطقة على اللبنانيين العمل جاهدين لانجاحها وتخطي كل ما يحول دون ذلك. وهذه الزوادة الفكرية منحتني القدرة على الاستمرار الى اليوم".

معايشة التطورات السياسية

عايشت خويري عن قرب الحوادث الطالبية – السياسية التي سبقت اندلاع الحرب عبر التزامها في مصلحة الطلاب. وكانت المواجهات التي حصلت بين المقاومة الفلسطينية المسلحة من جهة والجيش اللبناني من جهة أخرى انذارا واضحا للانفجار الواقع حتما. في تلك الأثناء بدأت الدعوة في صفوف حزب الكتائب والأحزاب والتجمعات الأخرى ذات النزعة اللبنانية – القومية للاستعداد جديا للمواجهة، وبدأت حملة التدريب العسكري والتسلّح التي تمت في البداية على نفقة العناصر الحزبية الخاصة. تأثرت الأجواء في مصلحة طلاب الكتائب بالحوادث السياسية والعسكرية مما أدى الى نشوء تيارين مختلفين في التوجه: تيار أطلق عليه (تهكما) لقب "العسكريتاريا"، وكان للشيخ بشير الجميل التأثير الكبير في نشوئه، وقد انضم اليه قسم من الطلاب الذين اجروا التدريبات العسكرية والتحقوا بفرقة الـ"ب. ج" الخاصة نسبة الى بيار الجميل، وتيار آخر رفض فكرة المواجهة العسكرية ودعا الى حل سلمي للمعضلة. لكن ما لبثت الحوادث أن جمعت بين التيارين وخصوصاً تحت وطأة الجولات الأولى".

بداية التدريب العسكري

التحقت خويري بصفوف الميليشيا جدياً في صيف 1974 في اطار مخيم تدريبي نظم في منطقة فيطرون حيث تكونت النواة الأولى لمجموعة النظاميات التي شاركت في معارك الأسواق التجارية. "كنت معجبة بالتدريبات القتالية كنشاط رياضي يستدعي قدرة على التخطي والمثابرة. كما أعجبت بالجو العسكري الذي كان يمنحنا القوة المعنوية والشعور بالكرامة والانتماء"... ونجحت خويري في التدريب العسكري وعينت مسؤولة عن المجموعة الأولى التي تخرجت في نهاية صيف 1974، وكانت بداية مرحلة جديدة في التزامها السياسي.

جوسلين خويري اليوم. (أميل عيد)

... وتدافع عن قضيتها في الاسواق عام 1976.

الانفجار

في العام الذي حدث فيه الانفجار واندلعت الحرب اللبنانية كانت خويري طالبة في كلية الاعلام وتمارس نشاطا سياسيا طالبياً عبر مصلحة الطلاب مما جعلها تواكب كل الحوادث الخطيرة التي شهدتها الجامعة في ذلك العام والتي بدأت تنذر بالانفجار. "ففي العام الدراسي 1974 – 1975 شهدت الجامعة انتخابات طالبية مصيرية تواجه فيها تحالف الكتائب – الاحرار – حركة الوعي – اتحاد الشباب العامل من جهة مع التحالف الشيوعي والقومي والاشتراكي المدعوم مباشرة من منظمة التحرير من جهة ثانية. وقد ربح التحالف الثاني الانتخابات في كليات عدة ما عدا الحقوق والاعلام. وأدت حادثة معروف سعد في صيدا الى تظاهرتين مضادتين. الاولى ضد الجيش اللبناني نظمها التحالف اليساري، واخرى لدعم الجيش والسيادة نظمناها نحن. وعلى اثرهما كانت مشاكل في كل من كلية التربية والعلوم والحقوق شهدت قتالا بالايدي واطلاقا للنار في بعض الاحيان وتطويقا لكلية العلوم من الفلسطينيين المسلحين والاشتراكيين".

كانت خويري تشارك غالباً في الجمعيات العمومية والحفلات الخطابية التي كان ينظمها معظم الفرقاء. "كان يؤلمني كثيرا ان اسم لبنان كان غائبا عن معظمها خصوصا عند التحية في ختام كل خطاب... كان الطلاب يتكلمون على كل شيء، على كل ثورة، على كل دولة من دول العالم الثالث، وكان لبنان مستبعدا عن اللائحة. وكنا نحن نتهم بالانعزالية ولا أنسى نظرات العداء التي كانت توجه الينا نحن "الرجعيين" كما كانوا يسموننا نظراً الى تمسكنا بالكيان اللبناني".

"على جثتنا"

آخر مرة ذهبت فيها خويري الى الجامعة اللبنانية قبل 13 نيسان 1975 وجدت نفسها وحيدة في مقهى كلية التربية، فدعاها رئيس اتحاد الطلاب في الجامعة اللبنانية حينها أنور الفطايري الى حضور مهرجان خطابي كان موجهاً ضد الجيش اللبناني ولدعم المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان. لبت خويري الدعوة وحضرت الاحتفال. "واثناء عودتي في الباص من الأونيسكو الى ساحة الشهداء فوجئت بأحد أقاربي عائدا من الجامعة الى بيته، ولم أكن أعلم انه عضو في الحزب الشيوعي. فجرت مناقشة حادة بيني وبينه: هو يهاجم الجيش وأنا أدافع عنه وعن سيادة لبنان أمام العبث الفلسطيني بأرضنا، ثم امتدت المشادة الى ركاب الباص فانقسموا جميعا بين مؤيد ومعارض. في الجهة المقابلة لمقعدي كان يجلس جندي في الجيش اللبناني له من العمر حوالي 45 سنة... أذكر بأسى شديد تلك الدمعة التي سالت على وجهه وجعلتني انتفض وأقسو بالكلام أكثر فأكثر على قريبي، مما دفع بأحدهم لأن يصرخ في وجهي قائلا بلهجة "بسطاوية" وأنا أنزل من الباص: "ليكي يا مدموزيل! هيدي البلد ما حا تبقى هيك، والأرزة الخضرا رح نعملها حمرا". فأجبته: "على جثتنا". ضبطت نفسي الى أن وصلت الى البيت حيث أجهشت بالبكاء ما أن فتحت أمي الباب. أصف هذه الحادثة لكي أشرح الجو العام الذي عايشته ودفعني الى الانخراط في العمل السياسي والعسكري، والذي جعل دفاعي ضد الفلسطيني عن بيتي والحي حيث أقيم أمراً طبيعياً".

البداية كانت الانخراط في الدفاع عن لبنان في مواجهة العمل الفلسطيني، وكي تبقى الارزة خضراء رمزا للبنان. لكن الحرب طالت كثيرا وتشعبت اسبابها. دخلت عوامل اخرى على خط تسخين جبهات القتال. وكان موت الرفاق يشعرخويري بالحزن""يومك يومك ع هالمتراس"، كنا نشعر اننا خارج الحياة، وخصوصا في الاسواق التجارية حيث كان موقع بناية النظاميات التي تولينا الدفاع عنها 4 اشهر. كانت الاسواق مهجورة، بعيدة عن حركة الاحياء التي ظلت تضج بقاطنيها. لم نكن نشعر ان هناك افق حل او بادرة امل. فتملكنا الشعور بالروتين "وان الناس يموتون من دون نتيجة". ومع الوقت بدأت الامور تتبدل. ولم تبق شعلة المقاومة التي التزمتها خويري بزخم الاعوام الاولى. "تعبت الناس من الحرب وصاروا يشعرون ان مشروع المقاومة تحول مشاريع اخرى غير الدفاع عن لبنان وسيادته. ففي "حرب السنتين" كان مجتمعنا يشعر انه معني بالدفاع والقتال. بعد موت الشيخ بشير الجميل تبدلت الامور. في 12 اذار 1985، اي يوم انتفاضة سمير جعجع وايلي حبيقة، قدّمت استقالتي مع النظاميات لاننا لم نوافق على منهجية التغيير بالطريقة التي حصلت فيها. عشت اثر ذلك شعور خيانة القضية. شعرت اننا نقسو على بعضنا، وانه في لحظة سقطت كل قيمنا. مع الوقت اصبحت احلل بهدوء اكثر، وارد ما حصل الى ان الحرب طالت كثيرا. هناك جيل كبر في الحرب ومسؤولون ايضا اضاعوا ما

– التتمة في الصفحة 17 –